الجدال والمراء

مُقَدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الجدال من الآفات الشديدة التي تقسّي القلب، ولخطورته، كان مجالاً لكلام العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهو خُلُق يكرهه السلف، ويبتعدون عنه أشد الابتعاد، قال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يَخوض مَع مَن يخوض، ولا يَجهل مَع مَن يجهل، وَلَكِن يَعفو ويصفَح لِحَقِّ القرآنِ،... ويترك الجدال والمراء»[1].

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون الجدال»[2].

فما معنى الجدال والمراء؟

وما السبب الذي جعل العلماء يكرهونه؟

وما الفرق بين الجدال المحمود، والجدال المذموم؟

وما أمثلة كل نوع؟

وهل الجدل شيء مركب في طبع النفس البشرية؟ أم هو طارئ عليها؟

تساؤلات كثيرة أحببنا الإجابة عليها من خلال هذا الفصل.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة، وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن يسدد خطانا لطريق الصواب والفلاح، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٩).

تعريف الجدال والمراء

الجـدال: الخصومة، ومراجعة الكلام، وهو دفع المـرء خصمه؛ تصحيحاً لكلامه، وهو منازعة للخصم.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجدال: هو المبالغة في الخصومة والمناظرة»[١].

وقـال القرطبـي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُجادَلَـةُ: دَفعُ القَـولِ عَلَى طَرِيـقِ الحُجَّـةِ بِالقُوَّةِ، مَأخُـوذٌ مِنَ الأَجـدَلِ، طائِـرٌ قَوِيٌّ. وَقِيلَ: هُـوَ مَأخُوذٌ مِنَ الجَدالَـةِ، وَهِيَ الأَرضُ، فَكَأَنَّـهُ يَغلِبُهُ بالحجة يقهره حَتَّى يَصِيرَ كالمَجدُولِ بِالأَرضِ. وَقِيلَ: هُوَ مَأخُوذٌ من الجدل، وهو شدة الفتل، فَكَأَنَّ كُلَّ واحِـدٍ مِنهُـما يَفتِلُ حُجَّةَ صاحِبِهِ حَتَّـى يَقطَعَها، وَتَكُونُ حَقّاً فِي نُـصرَةِ الحَقِّ، وَباطِلاً فِي نُصرَةِ الباطِلِ»[٢].

أما المراء: فقيل: هو الجدال[٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ماريت فلاناً: إذا جادلته وخاصمته»[٤].

وقيـل: هـو طعن في كلام الغير؛ لإظهـار خلل فيه، مِن غير أن يرتبط به غرض، سـوى تحقير الغير[٥].

وقيل: إن المراء لإثبات قول باطل، والجدال لإثبات قول قد يكون باطلاً، وقد لا يكون.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٩٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٦٧).

(٣) فتح القدير (٣/ ٣٩٦).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٩٤).

(٥) التعاريف (١/ ٢٦٦).

معنى الجدال في القرآن

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «المِراءُ في القُرآنِ كُفرٌ»**[1].

وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المراء في القرآن بأنه كفر، فما معنى المراء في القرآن؟

المراد بالمراء في القرآن: الشك فيه، وهذا كفر، فإذا شك أنه كلام الله، أو قال: إنه مخلوق، أو جعل يتتبع الأشياء لكي يصل إلى جحد شيء مما أنزله الله، ونحو ذلك: فالمجادلة والمماراة هنا على مذهب الشك والريبة.

وليس من الجدال في القرآن الممنوع أن يناقش في التفسير بعلم، فيقول: هل المراد كذا؟ أو المراد كذا؟ وترجيح أحد الوجوه. فهذا نقاش بعلم لمعرفة مراد الله.

فالمقصود بوصف المراء في القرآن بأنه كفر، أي: الذي يكون على سبيل الشك والارتياب والتكذيب.

فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اقرَؤُوا القُرآنَ ما ائتَلَفَت قُلُوبُكُم، فَإِذا اختَلَفتُم فَقُومُوا عَنهُ»**[2]. أي: إذا اختلفتم في فهم معانيه فقوموا عنه؛ لئلا يؤدي بكم الاختلاف إلى الشر.

ويحتمل أن المعنى: اقرؤوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه، وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرضت شبهة تقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق: فاتركوا ذلك، وتمسكوا بالمحكم، واتركوا المتشابه الذي سبَّب الاختلاف.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٣)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٠).

وأهل الباطل يتّبعون ما تشابه من القرآن، ويجادلون فيه؛ ابتغاء الفتنة.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُ سَيَأْتِي ناسٌ يُجادِلُونَكُم بِشُبُهاتِ القُرآنِ، فَخُذُوهُم بِالسُّنَنِ؛ فَإِنَّ أَصحابَ السُّنَنِ أَعلَمُ بِكِتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[1].

لأن السنن تبين مراد الله، والسنة مفسرة للقرآن.

❊ ❊ ❊

(١) رواه الدارمي (١١٩).

الجدل طبع مركب في الإنسان

إن الجدل طبع مركب في الإنسان، فهو كثير الجدل كثير المراء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، أي: أكثر شيء مراءً وخصومةً، لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة[1].

وعن عَلِيّ بن أَبِي طالِبٍ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفاطِمَةَ بِنتَ النَّبِيِّ عَلَيهِ السَّلاَمُ لَيلَةً، فَقالَ: «**أَلاَ تُصَلِّيانِ؟**» فَقُلتُ: يا رَسُولَ الله، أَنفُسُنا بِيَدِ الله، فَإِذا شاءَ أَن يَبعَثَنا بَعَثَنا، فانصَرَفَ حِينَ قُلنا ذَلِكَ وَلَم يَرجِع إِلَيَّ شَيئاً، ثُمَّ سَمِعتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2].

يعني: تعجب من سرعة جوابه، وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب فخذه.

ومن الناس من يُحسن فنّ الجدل أكثر من غيره، وإن كان من ناحية الطبع مركوزاً في الجميع، لكن يتفاوت فيه البشر، وقد قال تعالى عن الكفار لما بعث إليهم محمداً صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

أي: أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق.

وقال تعالى عن أهل الباطل: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. يعني: أشداء في المخاصمة.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٨).

(٢) رواه البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥).

ومن الأدلة على أن بعض الناس أُعطي جدلا أكثر من بعض: حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين تخلف عن تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، ... فلما بلغني أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه ... فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسُّم المغضب، ثم قال: «**تَعالَ**». فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «**ما خَلَّفَكَ؟**». فقلت: إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلا ... الحديث[1].

وموضع الشاهد: (أعطيت جدلاً) يعني: أعطيت فصاحة وقوة كلام، بحيث أخرج من عُهدة ما يُنسب إليّ، وأسلُّ نفسي، كما تُسل الشعرة من العجين.

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «**إِنَّما أَنا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأتِينِي الخَصمُ، فَلَعَلَّ بَعضَكُم أَن يَكُونَ أَبلَغَ مِن بَعضٍ؛ فَأَحسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَن قَضَيتُ لَهُ بِحَقِّ مُسلِمٍ فَإِنَّما هِيَ قِطعَةٌ مِنَ النّارِ، فَليَأخُذها، أَو فَليَترُكها**»[2].

وهذا الطبع من الجدل يستمر في الإنسان إلى يوم القيامة، حتى بعدما تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، أي: تخاصم وتحتج بما أسلفت في الدنيا، وتحاجّ عن نفسها.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضحك فقال: «**هَل تَدرُونَ مِمَّ أَضحَكُ؟**». قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**مِن مُخاطَبَةِ العَبدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يا رَبِّ، أَلَم تُجِرنِي مِنَ الظُّلمِ؟ قالَ: يَقُولُ: بَلَى. قالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفسِي إِلّا شاهِداً مِنِّي. قالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ شَهِيداً، وَبِالكِرامِ الكاتِبِينَ شُهُوداً. قالَ: فَيُختَمُ**

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣).

عَـلَى فيـهِ، فَيُقالُ لِأَركانِهِ: انطِقِـي. قالَ: فَتَنطِقُ بِأَعمالِهِ. قالَ: ثُمَّ يُخَـلَّى بَينَهُ وَبَينَ الكَلامِ، قالَ: فَيَقُولُ: بُعداً لَكُنَّ وَسُحقاً، فَعَنكُنَّ كُنتُ أُناضِلُ»[1].

وقـال تعالى واصفاً جدال الكفار يوم القيامة: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٤].

وعن أبي سـعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجِـيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُـهُ، فَيَقُولُ الله تَعـالَى: هَل بَلَّغتَ؟ فَيَقُولُ: نَعم، أَي رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَل بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ: لا، ما جاءَنا مِـن نَبِـيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَن يَشـهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ. فَنَشـهَدُ أَنَّهُ قَد بَلَّغَ، وَهُـوَ قَولُهُ جَـلَّ ذِكـرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوسط العدل»[2].

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم (٢٩٦٩).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٩).

أسباب حصول المراء والجدال

لو وقفنا نسأل أنفسنا: لماذا يحصل المراء والجدال بين الناس؟ لتوصلنا إلى عدة أسباب، منها:

١. النصيحة العلنية.

٢. اختيار الوقت غير المناسب.

٣. اختيار المكان غير المناسب، بحيث يتجهم الآخر ويُثار.

٤. قد يكون سبب الجدال والمراء: إرادة الحظوة عند الآخرين.

٥. قد يكون السعي للتغلب على الآخر بأي طريقة: بالباطل، أو بالحق.

٦. البيئة -أحياناً- لها دور في تنشيط عمليات المجادلة والمماراة، وخصوصاً في أوساط الشباب، فيجب أن يحذروا منها، وقد يوجد في بعض أوساط الدعاة والمتدينين وسط يُغذِّي هذه الأشياء، فيشجع كل منهم فريقاً، فهذه عمليات تنشيطية، وأجواء بيئية، تؤدي إلى المراء والجدل.

ويوجد في بعض الأوساط التربوية مدرسون يشجعون الجدل، وكثيراً ما يجادلون الطلاب، فيتسلل هذا الطبع ويتسرب لنفوس الطلاب.

وقد تتسرب هذه الطبيعة الجدلية من الأب إلى الأبناء، إن كان الأب ذا طبيعة جدلية.

فعلى المربي أن يكون متخلصاً من هذه السلبية.

٧. قد يكون السبب في الجدل عند البعض: العُجب، أو الغرور، أو الكِبر.

٨. قد يكون من فراغ القلب من تقوى الله.

٩. الفراغ، فالعسكر الفارغ تسوده المشاغبات، ومَن تأمل كثيرا من الأوساط التي يكثر فيها الجدال، يجد أنهم أناس فارغون، ليس لديهم برامج تشغلهم، فهذا من أكبر أسبابه.

❊ ❊ ❊

شروط المجادلة

لابد أن نعرف ماذا نلتزم إذا أردنا أن نجادل؟

وماذا نشترط قبل أن نجادل؟

شروط الجدال المحمود كالآتي:

أولاً: إخلاص النية لله، وهو الشرط الأول؛ لتكثر البركة، وتعظم الفائدة، وينقطع اللجج؛ لأن القصد هو الحق، ومعرفة الحق، فيجب أن يقدم تقوى الله قبل الدخول في ذلك، والقصد الحسن هو أهم شيء.

ثانياً: يجب أن يكون الجدل بالتي هي أحسن.

ثالثاً: يجب أن يكون الجدل بالعلم، قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦].

رابعاً: البدء بذكر الله تعالى، فيبدأ كل من المتجادلين المتناظرين للحق بذكر الرب عَزَّوَجَلَّ، وبالبسملة، وإن لم يذكره بلسانه فليذكره في قلبه ونفسه.

خامساً: التأدب في الجلوس، وتوقير صاحبه الذي يجادله، وإحسان الجِلسة أمامه، وبين يديه.

سادساً: اجتناب الهوى، فالإنسان قد يكتشف أنه مخطئ أثناء النقاش، وأن صاحبه على حق، فعليه أن يتراجع عن خطئه.

ومَن تأمل كلام المنصفين والسلف يهون عليه التراجع عن الخطأ.

عن محمد بن كعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سأل رجلٌ علياً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن مسألة، فقال فيها رأيه، فقال

الرجل: ليس هكذا! ولكن كذا وكذا، فقال علي: «أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم»[١].

وعن طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن زيد بن ثابت وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا تماريا في صدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها الطواف بالبيت، -أي: هل الحائض تخرج بدون طواف وداع أم لا؟- فقال ابن عباس: تنفر، وقال زيد: لا تنفر، فدخل زيد على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فسألها فقالت: تنفر، فخرج زيد وهو يتبسم ويقول: «ما الكلام إلا ما قلتَ».

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هكذا يكون الإنصاف، وزيد معلِّم ابن عباس، فما لنا لا نقتدي بهم، والله المستعان»[٢].

ورُوي أن أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ نهى ابنه حمّاداً عن المناقشة والجدال، وكان أبو حنيفة معروفاً بأنه كان من المناظرين الأذكياء الكبار، الذين يناظرون للوصول إلى الحق، فقال له ابنه: رأيتك تناظر في الكلام وتنهاني؟!

فقال: «يا بني، كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير مخافة أن يزل صاحبنا، وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم»[٣].

وجاء عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ»[٤]، أي: ما دخلت أبداً في مناظرة وأريد أن الطرف الثاني يخطئ؛ لأن القصد هو الوصول إلى الحق، سواءً مني أو منه.

وورد أنه ناقش بعض أهل العلم في مسألة فيها رأيان، فرجع الشافعي لرأي الثاني، ورجع العالم الثاني بعد النقاش لرأي الشافعي، فكل واحد منهما اقتنع برأي الآخر، وانتهى النقاش بهذه النتيجة العجيبة.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٢).

(٢) التمهيد (١٧/ ٢٧٠).

(٣) تبيين الحقائق (١/ ١٣٥).

(٤) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٤).

سابعاً: أن يكون متحلياً بالحلم والصبر؛ لأنه بدون التحلي بالحلم والصبر تنقلب المجادلات إلى نقاشات عقيمة.

ثامناً: أن يكون متريثاً متأنياً لا يعجل، فربما أن الشخص الآخر لو أفرغ ما عنده لانتهى النقاش بمجرد حكاية كلامه، فيكون كلامه يُغني عن الرد عليه، فاصبر عليه، ودعه يفرغ ما عنده، فقد يكون متصوراً القضية بشكل معين، فإذا طرح ما عنده اكتشف خطأه.

تاسعاً: لابُدَّ من التزام الصدق: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

عاشراً: لابُدَّ من الترفق بالخصم.

وهذه نقطة مهمة جداً، فنحن عندما نتناقش في مسألة ما إنما نريد أن نصل إلى نتيجة، ونصل إلى الحق، وليس الهدف إمضاء الوقت، أو ظهور أحدنا على الآخر.

فلا ينبغي كسر المخاصم، أو إحراجه أمام الناس، أو عدم إعطائه فرصة للتراجع، أو الانهيال عليه بالعبارات القاسية الجارحة، أو جعله مسخرة ومضحكة للناس، ونحو ذلك.

إن المهم في النقاشات هو كسب الخصم، لا كسب الموقف.

الحادي عشر: اجعل للخصم طريقاً للتراجع، وإذا زلّ زلة فلا تخجله، ولا تذكرها له بطريقة مسيئة، وإنما نبهه بلطف، وأحسن الاستماع إليه؛ فإن حسن الاستماع نصف الوصول إلى النتيجة.

الثاني عشر: الإنصاف له، فقد يقول المخاصم حقاً، فأقرّ له بذلك، وأقر له بمكانته ومنزلته.

قال أبو جعفر المنصور للإمام مالك -رحمهما الله-: إني عزمت أن أكتب كتبك هذه نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، آمرهم بأن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث؛ فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعملهم.

فقال الإمام مالك: «يا أمير المؤمنين لا تفعل؛ فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودالوا له، مِن اختلاف أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وغيرهم، وإنّ ردَّهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم «فقال أبو جعفر: لو طاوعتني على ذلك لأمرت به»[١]. وهذا من إنصافه رَحِمَهُٱللَّهُ.

ويقول أبو محمد بن حزم رَحِمَهُٱللَّهُ: «ناظرت رجلا من أصحابنا في مسألة، فعلوته فيها، لبكوء كان في لسانه -أي: عيب في لسانه-، وانفصل المجلس على أني ظاهر، فلما أتيت منزلي حاك في نفسي منها شيء، فتطلبتها في بعض الكتب، فوجدت برهانا صحيحا يبين بطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهد ذلك المجلس، فعرَّفته بذلك، ثم رآني قد علَّمت على المكان من الكتاب، فقال لي ما تريد؟ فقلت: أريد حمل هذا الكتاب وعرضه على فلان، وإعلامه بأنه المحق، وأني كنت المبطل، وأني راجع إلى قوله.

فهجم عليه من ذلك أمر مبهت وقال لي: وتسمح نفسك بهذا! فقلت له: نعم، ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا لما أخرته إلى غد»[٢].

الثالث عشر: لابُدَّ من تهذيب النطق والكلام، وعدم رفع الصوت والصياح، تناظر رجلان عند المأمون فارتفعت أصواتهما، فقال: «الصواب في الأسدّ، لا في الأشدّ»[٣].

الرابع عشر: تجنب المماراة، والرفق بالمشايخ ؛ فإن الرفق بهم تُستخرج به العلوم، قال بعض تلاميذ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لو رفقتُ بابن عباس لاستخرجت منه علماً جماً»[٤]، وقال ابن جريج رَحِمَهُٱللَّهُ:

«لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به»[٥].

---

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٧٣).

(٢) رسائل ابن حزم (٤/ ٣٣٧).

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١٤١)

(٤) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٩٧).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٩).

الخامس عشر: من شرط المناظرة: أن تكون بين أناس من أهل العلم، وليس من أهل الجهل.

السادس عشر: اختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية.

قال عباس بن عبد العظيم العنبري: «كنت عند أحمد بن حنبل، وجاءه علي بن المديني راكبا على دابة، قال: فتناظرا في الشهادة، وارتفعت أصواتهما، حتى خفت أن يقع بينهما جفاء، فلما أراد عليّ الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه»[1].

السابع عشر: ينبغي تجنب ما يشوِّش الأفكار.

الثامن عشر: لتُترك الحيل في النقاش؛ وليُجعل حَكَمٌ يحفظ الكلام بين المتناقشين، حتى لا ينكر أحدهما شيئاً مما قاله، بل يكون الحكم شاهداً على كل ما يقال.

التاسع عشر: هناك أناس يجب تجنب مماراتهم ومجادلاتهم أصلاً، مثل: الجاهل الذي لا يقر بجهله، والمتعنت، والمعتدي، والسفيه، والذي لا يشهد بالحق، بل بالزور.

❋ ❋ ❋

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦٨).

أنواع الجدال

الجدال المحمود، والجدال المذموم:

الجدال منه ما يكون محموداً، ومنه ما يكون مذموماً.

الجدال قد يكون حواراً ومحاجة ومناظرة؛ فيكون محموداً، وقد يكون ملاحاة ومماراة ومماحلة؛ فيكون مذموماً.

لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالجدال المحمود، فقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] أي: فليكن جدالك لهم بالوجه الحسن، برفق، ولين، وحسن خطاب.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ومعنى ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾:

١. الجدال بالقرآن.

٢. وقيل: الجدال بلا إله إلا الله.

٣. وقيل: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألِن لهم جانبك.

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ أي: إلا الذين أبوا أن يقروا لكم بالحق، ولا بإعطاء الجزية، ونصبوا الحرب لكم، فعند ذلك يكون جدالهم بالسيف؛ لأن جدالهم باللسان غير ممكن في هذه الحالة.

الجدال المذموم:

ما تعلق بإظهار الباطل، أو أشغل عن إظهار الحق، وتوضيح الصواب.

فَإِن كانَ الجِدال للوقوف على الحق وَتَقريره كانَ مَحمُوداً، وَإِن كانَ في مدافعة الحق أَو كانَ جدالاً بِغَير علم كانَ مذموماً.

الجدال المحمود:

ما كان بنية خالصة، وأدّى إلى خير، وهذا من الواجبات التي على المسلم أن يفعلها لأجل دينه، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجَب العلم والإيمان، ولا حَصَل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»[1].

والمجادلة بالحق عبادة عظيمة، فعندما قال قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لنبيهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢] جادلهم لأجل تعريفهم بالحق، وإقناعهم به، ولذلك رد عليهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٣-٣٤].

وقد حفلت الآيات الكريمة في القرآن الكريم بقصص مِن المناظرات بين موسى وفرعون، وبين نوح وقومه، وبين إبراهيم والنمرود، وبين إبراهيم وأبيه، وبين إبراهيم وقومه، وبين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقريش، وبين الصحابة والمشركين، وهكذا.

فهذا جدال من أهل الحق لأهل الباطل؛ لإقناعهم، فهو **جدال محمود**.

وكذلك المرأة التي جاءت تستفتي، وذُكرت قصتها في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] هذه المرأة تريد أن تعرف مصيرها مع زوجها، ماذا تفعل معه؟ هل هي حرام عليه، أم حلال؟ فهو جدال محمود.

أما الجدال المذموم: فهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦] يعني: ليدفعوه ويبطلوه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

والجدل المذموم من طبع الكفار، قال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦]، فهذه الآية العظيمة تدل على جدال الكفار باستمرار؛ لدحض الحق وإزالته.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥] ماحلوا، وجادلوا، وخاصموا؛ ليُذهبوا الحق.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [الشورى: ١٦]، وهذا وعيد من الله للذين يحاجون ويجادلون في الله بعد ما استجاب له المؤمنون، ويحاولون أن يصدوا المؤمنين عن الله تعالى وعن سبيله، فتوعدهم الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥] أي: أخذتَه عن الأوائل، ونقلته من كتبهم وأفواههم.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] مجادلون بالباطل كثيرو الخصومة.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء عبد الله بن الزِّبَعرى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]؟ فقال ابن الزبعرى: قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨]، ثم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١][1].

---

(١) أخرجه ابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥).

فعزير وعيسى بن مريم مبعدون عن النار، وبقية الآلهة الباطلة فيها، حتى الشمس والقمر والأصنام في النار؛ تعذيباً لعابديها، يقال: هذا الذي عبدتموه هو الآن سبب إحراقكم، فصرتم حصب جهنم، فذوقوا العذاب.

وقد حصلت عدة محاولات من المشركين في الجدال بالباطل في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجادلوا الصحابة بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

يوحون: يوَسوسون.

إلى أوليائهم: الكفار.

ليجادلوكم: بهذه الحجة التي يريدون بها دحض الحكم الشرعي، وهو الحق، فهم يقولون للمسلمين: ما ذبحتموه بأيديكم تأكلوه، وما قتله الله -يعني مات حتف أنفه- لا تأكلوه؟! انظر إلى منطق أهل الجاهلية، فردّ الله عليهم، مخاطباً المسلمين: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فكله قدر الله، حتى الذي ذبحه الإنسان بقدر من الله، والبهيمة ماتت بحتف أنفها بقدر من الله.

لكن هذا القدر أباحه الله عَزَّوَجَلَّ إذا وقع الذبح باليد مع التسمية، وهذا القدر حرمه الله إذا وقع، وهو أن تموت حتف أنفها.

وانظر إلى هذه المحاجة: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أتى أناس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١١٨-١٢١][(١)].

وقال تعالى -واصفاً مجادلة المشركين لِما رآه محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معراجه-: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١١-١٢] أي: أتجادلون يا أيها المشركون محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما أراه الله من الآيات، وتكذبون وتشككون؟!!

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وقال تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨-٦٩] فهذه الآية نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جادله الكفار بالباطل، فدافعهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، وأمره بالإعراض عن مماراتهم؛ صيانة عن الاشتغال بتعنتهم؛ لأن صاحب العناد لا ينفع معه النقاش.

ومما يجادلون فيه بالباطل: القرآن، ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تُجادِلُوا في القُرآنِ؛ فَإِنَّ جِدالاً فيهِ كُفرٌ**»(١).

وأيضاً: فقد حصلت المجادلة من ضعاف الإيمان:

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥-٦] أي: لما أيقنوا بالقتال، وأن المصادمة آتية، كرهوا ذلك، وقالوا: لِمَ لَمْ تخبرنا أنّا سنلقى العدو، حتى نتأهب لذلك ونستعد؟ ونحن خرجنا للعير والقافلة وما خرجنا للجيش، فهذا كان جدالهم.

ومجادلة الكفار للأنبياء كانت موجودة مع وجود الرسل، فهذا هود عَلَيْهِ السَّلَامُ ناقشه قومه وجادلوه في الأصنام، قال تعالى على لسان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١] أي: أتحاجوني في أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم، لا تضر ولا تنفع؟!

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: ٣٥].

من الذي قال هذا الكلام؟ حكاه الله عَزَّوَجَلَّ عن من؟

---

(١) رواه البيهقي (٢٢٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٢٣).

هذا قاله مؤمن آل فرعون، لما قام ينافح عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

فهذا رابط بين الكبر والجدال والمراء، فانظر كيف يبعث الكبر على الجدال بغير حق، والمراء بغير حق، وإرادة دحض الحق، وتقرير الباطل، كبراً وعناداً.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: ٦٩].

والجدال المذموم ينقسم إلى قسمين:

١. جدال بغير علم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

وقال تعالى يخاطب أهل الكتاب: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

والجدال في الله من المجادلة بغير علم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] أي: شديد القوة، سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣-٤]، فيزعم أن الله لا يقدر على إحياء الموتى، ويأتي الكافر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعظم قد بَلِي فيفتّه أمامه ويقول: أتزعم أن ربك يقدر على أن يحيي هذا؟ وهكذا كانوا يجادلون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينكرون البعث بعد الموت.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٨-٩]، أي: متكبر، ويريد إضلال الناس عن سبيل الله.

ومما يجادل فيه هؤلاء أيضاً: الساعة: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، مع أن قيام الساعة من علم الغيب الذي لا يعرفه أحد.

ومن الجدال بغير علم: الجدال في القدر:

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفقأُ في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال: «**بِهَذا أُمِرتُم؟ أَو لِهَذا خُلِقتُم؟ تَضرِبُونَ القُرآنَ بَعضَهُ بِبَعضٍ؟! بِهَذا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبلَكُم**»، قال: فقال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه»[(١)].

فقوله: «**يختصمون في القدر**»: يعني يتنازعون نزاعاً مذموماً في القدر.

وقوله: «**فكأنما يُفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب**»: هذا التعبير فيه دليل على شدة احمرار الوجه من الغضب، وكيف صار من شدة الحمرة كأنه شق أو عصر في وجنتيه - في خديه - حب الرمان.

وإنما غضب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، فمن يخوض فيه بغير علم ينتهي إلى الضلالة، إما أن يصبح قدرياً، أو يصبح جبرياً، ولذلك نهي عنه.

والمناقشات في القدر تؤدي إلى الشك والريبة، وتؤدي إلى تخلخل الإيمان، ولما تصبح هذه القضية مدار نقاشات بلا علم، أو تؤدي إلى إثارة شبهات بدون حسم، وبدون رد على الشبهات، فهذا نقاش مذموم، وجدال مذموم، ولذلك قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا يَزالُ أَمرُ هَذِهِ الأُمَّةِ قِواماً -أَو مُقارِباً- ما لَم يَتَكَلَّمُوا في الوِلدانِ والقَدَرِ»[(٢)].

الولدان: يعني أطفال المشركين، ما مصيرهم؟

والقدر: معروف، والمقصود: الكلام بغير علم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث -لو صح- إنما يدل على ذمّ من تكلم فيهم بغير علم، أو ضرب النصوص بعضها ببعض»[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجة (٨٥)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٠٠)، وإسناده صحيح. ورواه ابن حبان (٦٧٢٤) مرفوعاً، والموقوف أصحّ.

(٣) أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٩٢).

٢. والنوع الثاني من الجدال الباطل: الجدال لنصرة الباطل، والشغب على الحق بعدما تبين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجدال المذموم: «إِنَّما هُوَ لَهوٌ يُتَعَلَّمُ، وَدِرايَةٌ يُتَفَكَّهُ بِها، وَلَذَّةٌ يُستَراحُ إِلَيها، وَمُهارَشَةُ العُقُولِ، وَتَذرِيبُ اللِّسانِ بِمَحقِ الأَديانِ، وَضَراوَةٌ عَلَى التَّغالُبِ، واستِمتاعٌ بِظُهُورِ حُجَّةِ المُخاصِمِ، وَقَصدٌ إِلى قَهرِ المُناظِرِ، والمُغالَطَةِ في القِياسِ، وَبَهتٌ في المُقاوَلَةِ، وَتَكذِيبُ الآثارِ، وَتَسفيهُ الأَحلامِ الأَبرارِ، وَمُكابَرَةٌ لِنَصِّ التَّنزِيلِ، وَتَهاوُنٌ بِما قالَهُ الرَّسُولُ، وَنَقضٌ لِعُقدَةِ الإِجماعِ، وَتَشتِيتُ الأُلفَةِ، وَتَفرِيقٌ لِأَهلِ المِلَّةِ، وَشُكُوكٌ تَدخُلُ عَلَى الأُمَّةِ، وَضَراوَةُ السَّلاطَةِ، وَتَوغِيرٌ لِلقُلُوبِ، وَتَولِيدٌ لِلشَّحناءِ في النُّفُوسِ. عَصَمَنا اللهُ وَإِيّاكُم مِن ذَلِكَ، وَأَعاذَنا مِن مُجالَسَةِ أَهلِهِ»[(١)].

والجدال المحمود: دعانا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، بل هو نوع من الجهاد؛ فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**جاهِدُوا المُشرِكِينَ بِأَموالِكُم، وَأَنفُسِكُم، وَأَلسِنَتِكُم**»[(٢)].

فكيف نجاهد بألسنتنا؟

بالجدال بالتي هي أحسن، فالأمر بالمناظرة واجب كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله، كما قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)].

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس، وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال، وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه،... والجهاد باللسان، بإقامة الحجة عليهم، ودعائهم إلى الله تعالى»[(٤)].

وجنس المناظرة بالحق قد تكون واجبة تارة، ومستحبة أخرى.

أما الجدال المذموم فهو مذموم بكل حال؛ لأنه إبطال لحق، أو نصرة لباطل.

---

(١) الإبانة (٢/ ٥٣١).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٠٤)، وصححه الألباني.

(٣) الإحكام (١/ ٢٩).

(٤) سبل السلام (١/ ١٩٩).

وقد يكون الجدال محموداً ومذموماً في مكان واحد.

ففي الحج -مثلاً- يقول تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فما هو الجدال المنهي عنه في الحج؟

هو الجدال الذي يسبب خصومة وشحناء وبغضاء، الجدال بغير علم، الجدال الذي يريد كل واحد أن يعلو صاحبه فيه، ولا يريد أحدهما به الوصول إلى الحق، إنما هو لمعرفة مَن الأفضل في المناقشة، من يفحم الآخر، من يسكته، فليس هو لوجه الله.

وقد يكون جدالاً في أحكام الحج بلا علم، وهذا جدال مذموم أيضاً.

أما أن نتناقش: هل التمتع أفضل، أم الإفراد؟ وكيف حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ متمتعاً، أو قارناً، أو مفرداً؟ فهذا النقاش والجدال لمعرفة الحق ومعرفة السنة له ثمرة، وهو أن تعمل بالحق، وتصل إليه.

وكذلك النقاش في الصيام: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصِّيامُ جُنَّةٌ، فَلا يَرفُثْ، وَلا يَجهَلْ، وَإِنِ امرُؤٌ قاتَلَهُ أَو شاتَمَهُ فَليَقُل: إِنِّي صائِمٌ - مَرَّتَينِ**»[(١)]، وفي رواية: «**فَلا يَرفُثْ وَلا يُجادِلْ**»[(٢)].

وينبغي للمسلم أن يترك الجدال، ولو كان محقاً؛ لأن المماراة والجدل يقسِّيان القلب، ويسبِّبان الشحناء والبغضاء بين المسلمين، وفيهما رفض الحق، وتقرير الباطل، ولِما في هذه المماراة -التي يريد بها الشخص أن يزيف قول الآخر، وأن يبطل قوله، وأن يظهره بمظهر المخطئ، ولو كان ما يقوله حقاً- من الظلم والعدوان؛ لذا ندب الشارع إلى ترك المراء، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنا زَعِيمٌ بِبَيتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَن تَرَكَ المِراءَ، وَإِن كانَ مُحِقّاً**»[(٣)].

زعيم: كفيل، وضمين.

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) عمدة القاري (١٠/ ٢٥٨) وفتح الباري (٤/ ١٠٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني.

ببيت: بقصر.

في ربض الجنة: حولها.

المراء: الجدال الذي يريد به كسر الخصم، ولو كان على الحق، أي: لِجاجٌ، وخصومة، وجدل، يوقع في الباطل.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجالِ إلى الله: الأَلَدُّ الخَصِمُ**»[1].

الألدّ: كثير الجدال، والمراء، والمماحكة.

الخَصِم: صاحب خصومات، وعداوات.

والمقصود بترك المراء والجدال هنا: هو الجدال مع أهل الحق، أما الجدال مع أهل الباطل والبدع: فلابُدَّ من متابعة نقاشهم؛ حتى يهتدوا، أو ينكسر باطلهم.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

أمثلة للجدال المحمود

هناك أمثلة على كيفية مجادلة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والسلف الصالح، لأهل الباطل، وما يكون في الجدالات والمناقشات الفقهية العلمية.

- فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جادل النمرود؛ ليدحض باطله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

فلما صار النقاش في توحيد الربوبية، قال الكافر: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ أي: هذا محكوم عليه بالقتل، فأعفو عنه، وهذا بريء، فأقتله. فهذه مجادلة بالباطل، وليس هذا الإحياء، وهذه الإماتة، هما المقصودَين في توحيد الربوبية، المقصود: أن الله يحيي من العدم، فإن كنت صادقاً فأحي من العدم!.

لكن، لما صارت المسألة مجال مجادلة بالباطل من قِبَل النمرود؛ انتقل إبراهيم إلى شيء لا يمكن المجادلة فيه، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ ماذا سيقول في هذه؟ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ وسكت.

- كذلك النقاش الذي حصل بين صاحب الجنّتين، وبين صاحبه الصالح، وكيف رد عليه؟ وكيف أرشده إلى ما يجب أن يقوله، بدلاً من الاغترار بالنعيم الذي عنده؟ ثم ذكر له رجاءه بالله ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]، وذكّره بما يمكن أن يحصل له من غوران الماء، وذهاب الثمر.

- وكذلك، فإن عدداً من أهل العلم أيضاً جادلوا الكفار وناظروهم، قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يُحكَى عَن أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّ قَوماً مِن أَهلِ الكَلامِ أَرادُوا البَحثَ مَعَهُ فِي تَقرِيرِ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَقالَ لَهُم: أَخبِرُونِي قَبلَ أَن نَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ المَسأَلَةِ عَن سَفِينَةٍ فِي دِجلَةَ، تَذهَبُ، فَتَمتَلِئُ مِنَ الطَّعامِ والمَتاعِ وَغَيرِهِ بِنَفسِها، وَتَعُودُ بِنَفسِها، فَتَرسُو بِنَفسِها، وَتُفرِغُ وَتَرجِعُ، كُلُّ ذَلِكَ مِن غَيرِ أَن يُدَبِّرَها أَحَدٌ؟ ! فَقالُوا: هَذا مُحالٌ لا يُمكِنُ أَبَداً! فَقالَ لَهُم: إِذا كانَ هَذا مُحالاً فِي سَفِينَةٍ، فَكَيفَ فِي هَذا العالَمِ كُلِّهِ، عُلوِهِ وَسُفلِهِ!!

وَتُحكَى هَذِهِ الحِكايَةُ أَيضاً عَن غَيرِ أَبِي حَنِيفَةَ[1].

- وكذلك لما قام عمرو بن عبيد -وهو من المعتزلة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار- قام -مرة- فقال: «يؤتى بي يوم القيامة، فأُقام بين يدي الله، فيقول لي: لم قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]».

فقال له قريش بن أنس -وما في البيت أصغر منه-: «أرأيت إن قال لك: قد قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، فمن أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟».

فما استطاع أن يرد شيئاً[2].

- وكذلك وجّه عُمر بنُ عبدِ العزيز عَونَ بنَ عَبدِ اللهِ بنِ عُتبَةَ إلى الخَوارِجِ ليُناظِرهُم، فَلَمّا قَدِمَ عَلَيهِم قالَ لَهُم: «قاتَلتُم دَهرَكُم كُلَّهُ عَلَى أَن يعمَلَ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ عُمَرُ، فَلَمّا جاءَ رَأيُكُمُ الَّذِي كُنتُم تَطلُبُونَ، وَقالَ النّاسُ: هَذا، واللهِ، رَأيُهُم، كُنتُم أَوَّلَ مَن نَفَرَ عَنهُ»، قالُوا: واللهِ، لَقَد صَدَقتَ، ما كُنّا نَطلُبُ إلا الَّذِي عَمِلَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ لَم يَتَبَرَّأ مِنَ الَّذِينَ كانُوا قَبلَهُ، وَلَم يَلعَنهُم، فقالَ لَهُم: «هَل أَنتُم صادِقِيَّ عَمّا أَسأَلُكُم عَنهُ؟» فَقالُوا: نَعَم، لَم

(١) شرح الطحاوية (ص٣٥).

(٢) تهذيب الكمال (٢٢/ ١٣١).

تَسـأَلنا عَن شَيءٍ إِلا صَدَقناكَ، فقال: «مَتَـى عَهدُكُم بِلَعنِ هامانَ؟» فَقالُوا: ما لَعَنّاهُ قَطُّ. فقال لَهُم: «أَفَيَسَـعُكُم أَن تَترُكُوا وَزِيرَ فِرعَونَ المُنَفِّذَ لأَمرِهِ، وَلا يَسَعُ عُمَرَ بنَ عَبدِ العَزِيزِ أَن يَعمَـلَ بِالحَـقِّ، وَيَكُفَّ اللَّعنَ عَن أَهلِ قِبلَتِهِ، إِن كانُـوا أَخطَئُوا في شَيءٍ، وَعَمِلُوا بِغَيرِ الحَقِّ؟!».

فَرَجَـعَ إِلى عُمَـرَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ فَأَخبَرَهُ، فَقالَ: «ما أُحِبُّ أَنِّي بَعَثتُ إِلَيهِم غَيرَكَ»، ثمّ قالَ لَـهُ: «كَيفَ فَطِنتَ لِهامانَ؟» فَقالَ: «تَخَوَّفتُ إِن ذَكَرتُ فِرعَـونَ أَن يَقُولُوا: قَد لَعَنّاهُ، فَإِنَّهُ مُلعَنٌ خَبِيثٌ»[1].

- **وكذلك جاء الضحاك الشاري -وهو من الخوارج- إلى أبى حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: تب.**

قال: «مم أتوب؟».

قال: من قولك بتجويز الحكمين.

قال أبو حنيفة: «تقتلني أو تناظرني؟».

قال: أناظرك.

قال: «فإن اختلفنا في شيء مما تناظرني عليه، فمن يحكم بيني وبينك؟».

قال: اجعل مَن شئت.

قـال أبـو حنيفة لرجل من أصحاب الضحاك الشـاري: «اقعد فاحكـم بيننا فيما اختلفنا فيه».

ثم قال للضحاك: «أترضى هذا بيني وبينك حكماً؟».

قال: نعم.

قال أبو حنيفة: «فأنت جوزت التحكيم».

فانقطع وسكت، ولم يستطع أن يرد[2].

- وناظـر سـنيٌّ أحـدَ القدرية، فقال السـنّي للقـدريّ: «بلغني أن أناسـاً في عهد الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقال لهم القدرية كانوا يسرقون نعال الصحابة!».

---

(١) كتاب المحاربة من موطأ ابن وهب (ص١٦).

(٢) الانتقاء - لابن عبد البر (ص١٥٩).

فقال القدري: ومتى كان القول بالقدر في عهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فالقدرية لم يظهروا إلا بعد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟

فقال له: «إذا كان قولكم هذا غير موجود في عهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فمن أين أتيتم به؟!».

- وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«سارَ القاضِي أبو بَكرٍ الباقِلّانيّ رسولاً عَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ إلى طاغيَةِ الرُّومِ، فقالَ لراهبهم: «كَيفَ الأَهلُ والأَولاَدُ؟» فَقالَ المَلِكُ: مَه! أَما عَلِمتَ أَنَّ الرّاهبَ يتنزّه عَن هَذا؟ فَقالَ: «تُنَزِّهُونه عَن هَذا، ولا تنزهون رب العالَمِين عَنِ الصّاحبَة والوَلَد!».

وَقِيلَ: إِنَّ الطّاغيَةَ سأَلَه: كَيفَ جَرَى لزَوجَةِ نَبِيِّكُم؟ يَقصِدُ تَوبِيخاً، قال: «كَما جَرَى لمَريَمَ بِنتِ عِمران، وَبَرَّأَهُما اللهُ، لَكِنَّ عائِشَةَ لَمْ تَأتِ بِوَلَدٍ». فَأَفحَمَهُ»[1].

وبالجملة: فإن الجدال لإسكات أهل الباطل، والرد على النصارى وغيرهم من أهل الكفر، من الواجبات على المسلمين، ولا يجوز لمسلم أن يُعرَض الكفر أمامه، ويسكت.

❊ ❊ ❊

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢).

أضرار المراء والجدال المذمومَين

إن الشارع الحكيم لا ينهى عن شيء إلا وفيه ضرر على العباد، في العاجل والآجل، ومن ذلك المراء والجدال بالباطل، فهما سبب لكثير من المضار والمفاسد، ومن أبرزها ما يأتي:

حرمان الخير العظيم:

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل»[١].

وقال معاوية بن قرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إياكم وهذه الخصومات؛ فإنها تحبط الأعمال»[٢].

حرمان العلم:

ألم تعلموا أن ليلة القدر قد رُفع علمها بسبب المراء والمجادلة؟!

فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «**إِنِّي خَرَجتُ لِأُخبِرَكُم بِلَيلَةِ القَدرِ -أي: بتعيين ليلتها-، وَإِنَّهُ تَلاحَى فُلانٌ وَفُلانٌ، فَرُفِعَت، وَعَسَى أَن يَكُونَ خَيراً لَكُم، التَمِسُوها في السَّبعِ، والتِّسعِ، والخَمسِ**»[٣].

تلاحى فُلانٌ وَفُلانٌ: تنازعا وتخاصما، وحضر معهما الشيطان، فلذلك نُسِّي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعيين هذه الليلة.

فالحديث دليل على أن المخاصمة مذمومة، وأنها سبب في العقوبة، والحرمان من

---

(١) اعتقاد أهل السنة - للالكائي (٢٩٦).

(٢) اعتقاد أهل السنة (٢٢١).

(٣) رواه البخاري (٤٩).

الخير، وقد كانت هذه الخصومة وهذه الملاحاة ورفع الصوت في المسجد، وبحضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن يونس قال: كتب إليَّ ميمون بن مهران: «إِيّاكَ والخُصُومَةَ والجِدالَ في الدِّينِ، وَلا تُجادِلَنَّ عالِماً، وَلا جاهِلاً: أَمّا العالِمُ، فَإِنَّهُ يَخزُنُ عَنكَ عِلمَهُ، وَلا يُبالِي ما صَنَعتَ، وَأَمّا الجاهِلُ، فَإِنَّهُ يُخَشِّنُ بِصَدرِكَ وَلا يُطِيعُكَ»[١].

هلاك الأمم:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دَعُونِي ما تَرَكتُكُم، إِنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم بِسُؤالِهِم واختِلافِهِم عَلَى أَنبِيائِهِم، فَإِذا نَهَيتُكُم عَن شَيءٍ فاجتَنِبُوهُ، وَإِذا أَمَرتُكُم بِأَمرٍ فَأْتُوا مِنهُ ما استَطَعتُم**»[٢].

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لزياد بن حدير: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟» قال: لا، قال: «يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين»[٣].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إنما هلك من كان قبلكم بالمراء، والخصومات في الدين»[٤].

يورث الضغائن وقسوة القلوب:

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراء في العلم يقسّي القلب، ويورث الضغائن»[٥].

وكثيرٌ من الناس هجر بعضهم بعضاً بسبب الجدال، فلا يكلم بعضهم بعضا، ولا يزور بعضها بعضا، وذلك بسبب اللدد والمناقشة والجدال والخصومة التي حصلت في المجلس، فانتهى بالافتراق، وابتعاد القلوب بعضها عن بعض، ولذلك كان السلف يحذِّرون منه، قال

---

(١) سنن الدارمي (٣٠٢).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) سنن الدارمي (٢١٤)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (١/ ٨٩).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٣٢٢).

(٥) شعب الإيمان (٨٤٨٨).

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً أن لا تزال مماريا**»(١).

وقال محمد بن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخصومة تمحق الدين، وتنبت الشحناء في صدور الرجال»(٢).

وقال عبد الله بن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة»(٣).

وقال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤] قال: «الخصومات، والجدال في الدين»(٤).

حرمان التوفيق:

لأن الله لا يوفق أصحاب المجالس التي تقع فيها هذه المجادلات، التي لا يراد بها وجه الله.

انشغال القلب عن الله:

فأقلّ ما في هذه الخصومات التي ليست لوجه الله: أنها تشغل الإنسان حتى في صلاته، ويبقى خاطره معلقاً بها.

قال بعض السلف: «ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذة، ولا أشغل للقلب؛ من الخصومة»(٥).

مدعاة للزلل:

قال مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ: «إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته»(٦).

---

(١) تاريخ دمشق (١٠/ ٨٠).
(٢) بهجة المجالس (ص٩٣).
(٣) تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٨٠).
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٤).
(٥) تاريخ دمشق (١٠/ ٢٩٧).
(٦) سنن الدارمي (٣٩٦)، حلية الأولياء (٢/ ٢٩٤).

ذهاب الكرامة:

قال بعض الأعراب: «من لاحَى الرجال وماراهم قلَّت كرامته، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به»[١].

ومما ينسب للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قالُوا سَكتَّ وَقَد خُوصِمتَ، قُلتُ لَهُم ... إِنَّ الجَوابَ لِبابِ الشَّرِّ مِفتاحُ
والصَّمتُ عَن جاهِلٍ أَو أَحمَقٍ شَرَفٌ ... وَفيهِ أَيضاً لِصَونِ العِرضِ إِصلاحُ
أَما تَرَى الأُسدَ تُخشَى وَهيَ صامِتَةٌ ... والكلبُ يَخشَى لَعَمرِي وَهوَ نَبّاحُ[٢]

ظهور البدع واتباع الهوى:

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل»[٣].

يعني من بدعة إلى بدعة، ومن مزلق إلى مزلة، وهكذا.

وقيل للحكم بن عتيبة الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما اضطر الناسَ إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟[٤] قال: «الخصومات»[٥].

أي: لما فتحوا باب الخصومات على أنفسهم، كان لزاماً عليهم أن يدخلوا في هذه العقائد الباطلة.

وقال خالد بن برمك: «من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه: العجلة، واللجاجة، والعُجب، والتواني؛ فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة التواني الذل»[٦].

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٨).
(٢) حسن السمت في الصمت (ص٢٦).
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١٠٣)، سنن الدارمي (٣٠٤).
(٤) أي: لماذا دخلوا في البدع؟
(٥) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٢١٥).
(٦) روضة العقلاء (ص٢١٧).

وسئل سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَتَى يَعلَمُ الرَّجُلُ أَنَّهُ عَلَى السُّنَّةِ والجَماعَةِ؟ «قالَ: «إِذا عَرَفَ مِن نَفسِهِ عَشرَ خِصالٍ: لا يَترُكُ الجَماعَةَ، وَلا يَسُبُّ أَصحابَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلا يَخرُجُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِالسَّيفِ، وَلا يُكَذِّبُ بِالقَدَرِ، وَلا يَشُكُّ في الإِيمانِ، وَلا يُمارِي في الدِّينِ، وَلا يَترُكُ الصَّلاةَ عَلَى مَن يَمُوتُ مِن أَهلِ القِبلَةِ بِالذَّنبِ، وَلا يَترُكُ المَسحَ عَلَى الخُفَّينِ، وَلا يَترُكُ الجَماعَةَ خَلفَ كُلِّ والٍ، جارَ أَو عَدَلَ»[1].

❊ ❊ ❊

(١) اعتقاد أهل السنة (٣٢٤).

مماراة العلماء

هنـاك أنـاس يجادلـون في القضايا العلميـة، يريدون المنازعـة في مجالس العلـماء، وطلبة العلم؛ ليُظهروا علمهم، ويظهروا قدراتهم البلاغية، ويستعرضوا إمكاناتهم اللسانية.

وهـذا أمـر مذموم شرعـاً؛ فعن جابـر بن عبـد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تَعَلَّمُـوا العِلمَ لِتُباهُوا بِهِ العُلَماءَ، وَلا لِتُمارُوا بِهِ السُّـفَهاءَ، وَلا تَخَيَّرُوا بِهِ المَجالِسَ، فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ: فالنّارُ النّارُ**»[1].

وفي الحديـث الآخـر: عن كعـب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سـمعت رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَن طَلَبَ العِلمَ لِيُجارِيَ بِهِ العُلَماءَ، أَو لِيُمارِيَ بِهِ السُّفَهاءَ، أَو يَصرِفَ بِهِ وُجُوهَ النّاسِ إِلَيهِ؛ أَدخَلَهُ الله النّارَ**»[2].

فلابد من الحذر من التعلم للمجادلة، ولابد من الحذر من مجادلة العلماء.

وهنـاك أنـاس هَمُّهـم المجادلة مع العلـماء وطلبة العلم، كأنـه يقول: أنا أعـرف القاعدة الفلانية، والدليل الفلاني، وكلام العالم الفلاني...، ولذلك تجد بعض هؤلاء يسـأل الشيخ، والشـيخ يجيب، فيقول: يا شـيخ، هذه قال فيها فلان كذا؟ وقال فيها فلان كذا؟ وقال فيها فلان كذا؟

فإذا كان يعرف كل هذا؛ فلماذا يسأل إذن؟!

---

(١) رواه ابن ماجة (٢٥٤)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني.

ومثل هذا لا يَدرُس ويقرأ ابتغاء وجه الله، وإنما يفعل ذلك إرادة الظهور، والبروز، واللمعان في المجالس.

يريد به أن يذكر اسمه، وأن يشار إليه بالبنان، وأن يقال: حافظ، وطالب علم، ومناقش عنده حجة، ونحو ذلك.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

إذا أردنا أن لا نقع في الجدال والمراء المذمومين: فعلينا أن نتمسك بهذا الدين القويم؛ لأن من عقوبات الله لمن ترك دينه: أن ينشر فيهم المراء والجدال.

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما ضلَّ قَومٌ بَعدَ هُدًى كانُوا عَلَيهِ إلّا أُوتُوا الجَدَلَ**» ثم تلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨][1].

(إلا أوتوا الجدل) يعني: انتقم الله منهم وعاقبهم بأن أعطاهم الجدل بدل العلم الذي أعرضوا عنه، وأعطاهم الخصومة بالباطل واللجج والممارة بلا فائدة، أي: لما تركوا العلم النافع ظهر الجدل.

وهذه قاعدة: فأي قوم يتركون العلم النافع علم الكتاب والسنة؛ يعاقبون بانتشار الجدل والخصام فيهم.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٣)، وحسنه الألباني.

اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع: أسئلة حلولها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل، وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة):

١. عرف الجدال والمراء.

٢. ما الفرق بين الجدال والمراء؟

٣. للمراء والجدال أسباب، اذكر أبرزها.

٤. ما هي شروط الجدال المحمود؟

٥. ما هي أنواع الجدال؟ واذكر مثالا لكل نوع منها.

٦. ما المفاسد والأضرار الناجمة عن الجدال والمراء؟

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية):

١. ما المقصود بالمراء في القرآن الكريم؟

٢. مـا معنى قوله ﷺ: «**اقـرؤوا القرآن ما ائتلفـت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»؟

٣. ما معنى قوله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُتوا الجدل**»؟

٤. قـال الله تعـالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ فما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؟.